السلام عليكم  
نصف مشاكل الإنسان النفسيّة  
أو قل كلّها  
يمكنه حلّها لو فهم القاعدة التالية  
والتي تقول  
النعمة الأولي تستوجب الشكر - ولا تستوجب النعمة الثانية  
-  
بمعني  
الله خلقك ذكيّا  
هذا يستوجب أن تشكر الله علي نعمة الذكاء  
لا أن تظنّ أنّ الله يستوجب عليه أن يرزقك المال لأنّك ذكيّ  
-  
الله خلقك جميلة  
هذا يستوجب أن تشكري الله علي نعمة الجمال  
لا أن تظنّي أنّ الله يستوجب عليه أن يرزقك نعمة الزوج الصالح  
-  
الله خلقك غنيّا  
هذا يستوجب أن تشكر الله علي نعمة الغني  
لا أن تظنّ أنّ الله يستوجب عليه أن يرزقك نعمة الأولاد  
-  
الله خلقك عادلا بارّا  
هذا يستوجب عليك أن تشكر الله علي نعمة العدل والبرّ  
لا أن تظنّ أنّك من حقّك أن يجعل الله الناس يعدلون معك  
أو أنّ من حقّك علي الله أن يجعل أولادك بارّين بك  
-  
أنت لا تملك حقوقا علي الله  
سوي أنّك إن آمنت به وعبدته كما أمر أدخلك الجنّة  
وهذا بنصّ الحديث  
-  
عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رضي الله عنه - قَالَ:  
كُنْتُ رِدْفَ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه و سلم عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ.  
قَالَ: فَقَالَ: يَا مُعَاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللّهِ عَلَى الْعِبَادِ وما حقُّ العبادِ عَلَى الله؟  
قَالَ قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.  
قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللّهِ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً.  
وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً»  
قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! أَفَلاَ أُبَشِّرُ النَّاسَ؟  
قَالَ: «لاَ تُبَشِّرْهُمْ. فَيَتَّكِلُوا».  
فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ، تَأَثُّما  
أي خوفا من إثم كتم العلم  
-  
غير هذا الحديث فأنت لا تملك حقوقا علي الله سبحانه وتعالي  
والله ليس مدينا لك بشئ  
وليس ملزما تجاهك بشئ  
وأنت لا يحقّ لك أن تطالبه بشئ  
-  
بل كان الأحري بك أن تشكره علي نعمته الأولي  
بدلا من أن تعمل عقلك في أنّ هذه النعمة تستوجب نعمة ثانية  
وعندما يعطيك الله النعمة الثانية  
غنيّا رزق بأولاد مثلا  
فعليك أن تشكر الله علي نعمة الغني ونعمة الأولاد  
لا أن تظنّ أنّك اصبحت تستحقّ من الله الآن  
أن يرزقك نعمة برّ الأولاد  
حتّي وإن أحسنت أنت تربيتهم  
إحسانك لتربية أبنائك هو واجبك أصلا  
وأنت لا تستحقّ مقابلا لهذا الواجب  
فلو أحسنت تربية أبنائك ثمّ رأيت منهم عقوقا  
فالله لم يخطأ معك في شئ  
وأنت لم تخطأ مع أبنائك في شئ  
ولكنّ هذه سنّة الحياة  
فالحياة دار اختبارات  
كلّها ابتلاءات  
فالابتلاءات سنّة الحياة  
-  
لو تخلّصت من فكرة (((الاستحقاق)))  
فقد حلّت نصف مشاكلك النفسيّة  
أو قل كلّها  
-  
وقديما قال الجهلاء (يعطي الحلق للي بلا ودان)  
يستنكرون علي الله - سبحانه وتعالي - ذلك  
وكأنّ الله أصبح ملزما تجاه صاحب الودان بأن يعطيه حلقا  
هم يرون أنّ هذا هو العدل  
العدل أن يعطي الله شخصا واحدا الودان والحلق  
ولا يعطي الآخر لا ودان ولا حلق  
هذا هو العدل من وجهة نظركم ؟ّ!  
فبئس العدل إذن  
-  
بل إنّ تمام العدل هو أن يعطي الله الحلق لمن لا آذان له  
ويظهر هذا واضحا جليّا في قوله تعالي  
-  
أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ  
نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ  
وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ  
لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ  
وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ  
-  
يا أخي والله كأنّ هذه الآية تخاطب من أريد مخاطبتهم  
فسبحان الله العليم الخبير  
أهم يقسمون رحمة ربّك ؟  
منذ متي وقد نصّبكم الله وكلاء عنه في تقسيم الأرزاق ؟!  
ثمّ انظر لقوله تعالي  
ليتّخذ بعضهم بعضا سخريّا  
سخريّا - بضمّ السين - من التسخير  
يعني تسخير البشر بعضهم لبعض وإلجائهم بعضهم لبعض  
أي أنّ هذا التقسيم في الأرزاق من حكمته أن يلجأ البشر لبعضهم  
فيسخّر الله الذكيّ الفقير للغبيّ الغنيّ  
ويسخّر الله القويّ الغبيّ للضعيف الذكيّ  
ويسخّر الله الجميلة الضعيفة لزوجها  
ويسخّر الله زوجها الشديد مع الناس لها  
فتراه بين يديها كالقطّة الوديعة  
ويسخّر الله الديكتاتور المستبدّ  
ليكون بين يدي الطبيب الضعيف كالطفل الصغير  
ويسخّر الله الطفل الصغير ابن الملوك للمدرّس العالم الفقير  
فتري الأمين والمأمون ابني الخليفة هارون الرشيد  
يحمل كلّ واحد منهم حذاءا من حذاءي المعلّم  
هذه هي الحكمة أيّها الجهلاء في أن يعطي الله الحلق لمن لا آذان له  
هذه هي الحكمة - ولكن جهلكم يمنعكم عن رؤيتها  
-  
ومن أكثر الأسباب التي روّجت لفكرة التساوي في الرزق  
هي ما قاله الشيخ الشعراوي - عليه سحائب الرحمات تتري  
حيث قال أنّ كلّ إنسان له 24 قيراط من الرزق  
أنت أخذت 20 قيراط من المال و 4 قراريط من القوّة  
بينما لم تأخذ شيئا من الصحّة مثلا أو الذكاء  
وهذا - وإن رأيته أنت متماسّا مع كلامي السابق  
عن فكرة تسخير البشر بعضهم لبعض  
إلا أنّه ليس صحيحا  
فانت لا تملك حقّا علي الله أن يعطيك 24 قيراطا  
حتّي ولو كانوا مختلفين عن ال 24 قيراط التي عند أخيك  
فقد يعطي الله أخيك 48 قيراط  
ويعطيك 4 قراريط فقط  
أنت لا يحقّ لك أن تسأل الله لماذا  
أنت لا (((تستحق))) شيئا من الله  
الله ليس (((مدينا أو ملزما))) لك أو تجاهك بشئ  
الله إذ أعطاك النعمة الاولي فإنّ واجبك كان أن (((تشكره)))  
لا أن (((تطالبه))) بالنعمة الثانية  
ارجع معي لنفس الآية الكريمة  
-  
أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ  
نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ  
وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ  
لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ  
وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ  
-  
وركّز علي قوله تعالي  
ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات  
-  
فإن لم تفهمها  
فاقرأ إذن هذه الآية  
وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ۚ  
الآية واضحة وصريحة  
وكذلك كانت سابقتها  
فالأرزاق ليست متساوية  
-  
قد يعطي الله رجلا المال الوفير والزوجة الصالحة  
والأبناء البررة والصحّة السابغة  
ويخلق الآخر مشلولا منذ يوم ولد  
فقيرا هذا يعطيه وهذا يمنعه  
ثمّ لا يتزوّج هذا الرجل الفقير المشلول ولا ينجب  
-  
تقول  
وأين العدل  
أقول لك - علي أيّ أساس بنيت أنت مفهوم العدل أصلا ؟  
أنت بنيت مفهوم العدل علي أنّ الله ملزم تجاهك بكذا وكذا  
فلمّا لم يعطك الله ما فرضته أنت عليه - سبحانه - قلت عليه ظالما  
فأيّ عدل هذا ؟!  
-  
بل إنّ الله سبحانه وتعالي ليس ملزما تجاهك بشئ أصلا  
فلو أعطي فلانا قليلا وفلانا كثيرا  
فهو إذن منعم في كلتا الحالتين  
ولكنّه منعم في حالة أكثر منها في الأخري  
لكنّه في كلتا الحالتين منعم  
وهو - سبحانه - ليس ملزما بأن ينعم بقدر متساو  
هو لم يلزم نفسه بذلك - سبحانه  
وأنت ليس لك أن تلزمه بذلك  
-  
فتخيّل معي - ولله المثل الأعلي - أنّك تمرّ في الشارع  
فرأيت شحّاذا فأعطيته عشرة جنيهات  
ثمّ مررت بشحّاذ آخر فأعطيته خمسة جنيهات  
ثمّ مررت بشحّاذ ثالث فلم تعطه شيئا  
مع أنّك معك من المال الكثير  
-  
فهل أنت في هذا المثال كنت ظالما لأحد الشحّاذين ؟!  
أنت لست ملزما تجاه أيّ منهم بشئ  
فلتعط من شئت منهم ما شئت  
ولتمنع ما شئت عمن شئت منهم  
-  
فلله المثل الأعلي  
هذه هي الفكرة التي أحدّثكم عنها  
-  
تخلّص من فكرة (((الاستحقاق)))  
انت لا تدين الله بشئ  
والله ليس ملزما تجاهك بشئ  
وتفاوت الأرزاق هو مصدر استمرار الحياة  
-  
ثمّ  
تعال معي إلي مثال  
مهندس ذكيّ فقير  
يعمل في مصنع يملكه رجل غنيّ غبيّ  
-  
فتري المهندس يقول لنفسه  
كيف أكون أنا بهذا الذكاء  
ثمّ أجد نفسي موظّفا عند هذا الغبيّ   
لمجرّد فقط أنّه غنيّ ورث هذه الثروة عن أبيه ؟!  
ألم يكن العدل أن يخلقني الله غنيّا  
وصاحب شركات مثل هذا الغبيّ ؟!  
-  
بالطبع نحن تحدّثنا عن فكرة تسخير البشر بعضهم لبعض  
فالذكيّ مسخّر للغنيّ مقابل راتبه  
والغبيّ مسخّر للذكيّ مقابل ذكائه  
-  
لكن  
ليس هذا ما أريد قوله  
ولكنّي أريد أن أقول  
تخيّل معي أنّ صاحب المصنع قال لله تعالي  
يا ربّ - كيف تعطيني كلّ هذا المال - ثمّ لا تجعلني ذكيّا ؟!  
كيف تجعلني احتاج لهذا الفقير لمجرّد أنّه ذكيّ  
-  
ثمّ تخيّل معي أنّ الله استجاب لدعائه  
بمعني  
أصبح هذا الرجل الغنيّ الغبيّ ذكيّا أيضا  
فما قولك أنت أيّها المهندس الذكيّ ؟!  
-  
ألست أنت من اقترحت فكرة أنّ النعمة الأولي (الذكاء)  
تستوجب النعمة الثانية (الغني)  
-  
فقد فعل الله ما تريد  
وجعل نعمة (المال) عند الغبيّ تستوجب نعمة (الذكاء)  
فجعله الله غنيّا وذكيّا  
ساعتها سيطردك من المصنع  
وسيكون هذا ما طلبته أنت بالتحديد  
فقد طلبت أنت من الله أن يعطي كلّ صاحب نعمة أولي  
نعمة ثانية علي سبيل الاستحقاق  
ولا إنتا عاوز العطاء لنفسك فقط ولصاحب المصنع لأ ؟!  
-  
طيّب  
إيه رأيك في حاجة تانية  
ربّنا يجعلك إنتا كذكي - يجعلك غنيّ كمان - وعندك مصانع  
وربّنا يجعله هوّا كغني - يجعله ذكي كمان - ويقدر يصمّم ويهندس  
إذن - كيف ستديرون مصانعكم ؟!!!  
-  
لا تنس أنّ الله سيجعل العمّال أيضا أذكياء وأغنياء  
هذا هو العدل الذي طالبت أنت به  
فكيف ستديرون مصانعكم ؟!  
طبعا ستتوقّف مصانعكم  
ولا إنتا عاوز العطاء لنفسك ولصاحب المصنع فقط والعمّال لأ ؟!  
-  
طيّب إحنا عندنا إنتاج في المخازن من السنة اللي فاتت  
ومش محتاجين لعمّال  
طيّب  
جميل جدّا  
هتبيعوا إنتاجكوا لمين ؟!  
للناس طبعا  
لا ما هو خد بالك بردو  
ما الناس كمان بقوا أذكياء وأغنياء  
وكلّ واحد منهم بني مصنع لنفسه خلاص  
ولا إنتا عاوز العطاء لنفسك ولصاحب المصنع والعمّال فقط  
والناس لأ ؟!  
-  
قد يسئ البعض الفهم ويأخذ كلامي علي أنّ معناه أنّنا نريد الفقر للناس  
بالطبع لا  
ولكنّنا نريد من الناس أن يدركوا أنّ الله لم يخلقهم فقراء لأنّه يكرههم  
أو لأنّه ظلمهم حيث كانوا يستحقّون الغني وهو - سبحانه - حرمهم منه  
هذا تفكير خاطئ  
-  
ولكنّ التفكير الصحيح هو أن تتعايش مع وضعك الحالي  
وتسعي وتجتهد لتغييره للأفضل  
لكن خلال هذا السعي  
لا تظنّ أنّ الله ملزما تجاهك بتكليل هذا السعي بالنجاح  
أنت (((ملزم))) بالسعي - ولكنّك (((غير مستحقّ))) للنجاح  
فالنجاح نعمة - قد يعطيكها الله أو يمنعك إيّاها  
هي نعمة ثانية - مستقلّة - غير مستحقّة  
وواجبك هو أن تشكر الله سبحانه وتعالي علي النعمة الأولي  
بدلا من أن تطالبه بالنعمة الثانية  
-  
أخيرا  
أحبّ أن أختم بالأمثلة التالية  
السيّدة آسيا امرأة فرعون - كانت امرأة فرعون نفسه  
سيّدنا نوح - كان ابنه كافرا  
سيّدنا لوط - كانت امرأته غير صالحة  
سيّدنا محمّد - مات ستّة من أولادة وهو حيّ  
-  
فآسيا - التي هي من أصلح نساء العالمين - لم ترزق زوجا صالحا  
ونوح - لم يرزق ابنا بارّا  
ولوط - لم يرزق زوجة صالحة  
وسيّد الاوّلين والآخرين مات أبناؤه بين يديه عليه الصلاة والسلام  
ما عدا فاطمة  
ولم يعترض علي الله سبحانه وتعالي  
ولم يقل أنّه كان الأحري به أن يكون له أبناء يربّيهم  
وينشروا نسله بين البشر  
-  
فهو المربّي الأعظم في التاريخ  
ورغم ذلك مات أبناؤه بين يديه عليه الصلاة والسلام  
وخصوصا الذكور الذين كان يرتجي منهم أن يحملوا اسمه  
ماتوا جميعا في حياته  
مات ابنه القاسم - الذي كان يكنّي به - وهو ابن عامين  
ومات ابنه الطيّب أيضا وهو صغير  
ثمّ مات ابنه ابراهيم وهو ابن 16 شهرا  
مات بين يديه عليه الصلاة والسلام  
-  
وأنا أركّز علي الذكور لسبب  
ألا وهو أنّهم هم من يرتجي منهم الأب أن يربّيهم لينشروا الخير  
وليحملوا اسمه فيما بعد  
فتري الرجل الذي رزق بالبنات ولم يرزق بالبنين  
تراه مشفقا علي نفسه  
وتري الناس مشفقين عليه  
ويلقّبونه بـ " أبي البنات " علي سبيل الشفقة  
وكأنّ نعمة البنات كانت توجب علي الله أن يرزقه بنعمة البنين أيضا  
في حين أنّها كانت توجب علي الأب الشكر أصلا  
وليست توجب له النعمة الثانية  
-  
فتذكّر ما بدأنا به حديثنا  
النعمة الأولي تستوجب الشكر - ولا تستوجب النعمة الثانية